الملاحظ أنه على امتداد حقبة ما بعد الحرب، ساندت بريطانيا سرا

ماعات إسلامية راديكالية فى أفغانستان وإيران والعراق وليبيا والبلقان

وسورية وإندونيسيا ومصر. ويشير الكتاب إلى وثائق بريطانية كشف

وبدأ التمويل البريطاني للإخوان المسلمين بمصر في أربعينات

القرن الماضي. وفي العقد التالى، تآمرت بريطانيا مع الجماعة لاغتيال

عبد الناصر (وكذلك الإطاحة بالحكومات القومية في سورية). وكان

الهدف من وراء دعم المنظمات الإسلامية - خلال بدآية حقبة ما بعد

لحرب- التصدي للتيار القومي الذي اكتسب شعبية كبيرة. وعليه، انحازت

الحكومة البريطانية باستمرار إلى جانب الإخوان المسلمين بمختلف

الحرب السرية في أفغانستان وكانت الحرب السرية _بفي أفغانستان في ثمانينات القرن الماض*ي*

لدعم المجاهدين، والتّي أفرزت بطبيعة الحال «القاعدة»، مجرد امتداد

سياسة بريطانية قائمة، ومثلت تلك أكبر عملية سرية تنفذها الحكومة

لبريطانية منذ الحرب العالمية الثانية وتضمنت توفير دعم للكثير من

الجماعات الأفغانية الأجنبية التي كانت تقاتل السوفيات (والتي تحارب

لقوات البريطانية الآن ضد بعضّها داخل أفغانستان). ومنذ ذلكَ الحين،

جرى تنفيذ مجموعة متنوعة من العمليات المشابهة تضمنت عمل

ب بطانيا بحانب قوى إسلامية للتصدي لعدد من الأعداء ميلوسوفيتش

ـ وأعرب كيرتس عن اعَّتقاده بأن سياسة «لندنستانّ» - القائمة على

لسماح للندن بالعمل كقاعدة تنظيمية للإرهاب الجهادي بمختلف أرجاء

العالم - ارتبطت بصورة وثيقة بالسعى لضمان تحقيق أهداف السياسة

وتعد العلاقة الخاصة القائمة بين الحكومة البريطانية والرياض واحدة

من أبرز الملامح المميزة للسياسة الخارجية البريطانية خلال حقبة ما

بعد الحرب العالمية الثانية. وتكشف وثائق أن بريطانيا أبرمت الكثير من

الصفقات الاستثمارية مع السعودية عام 1973 (بالقرب من فترة اندلاع

زمة النفط)، وربطت فعليا الاقتصاد البريطاني بنظيره السعودي في

وتكمن جندور كلّ ذلك في سياسة «فرق تّسد» التي انتهجتها

الإمبراطورية عندما استغلت بريطانيا القوى الإسلامية في تعزيز

مُصالَحها الإِمبريالية في الكثير من الدول، مثل الهند وفلسطين والأردن

واليمن. ويحاول الكتاب كشف مدى العلاقة الوثيقة بين التواطُّؤ بين

بريطانيا والإسلام الراديكالي من ناحية وانحسارها الإمبريالي في أعقاب

الحرب العالمية الثانية من ناحية أخرى - في وقت اتسم فيه صانعو السياسات بالسرعة والبرجماتية وافتقروا إلى أي بوصلة توجيه أخلاقية

وانصب تركيزهم على التصدى للقوى القومية في محاولة يائسة للحفاظ

وبالنظر إلى الخطاب السائد حول «الحرب ضد الإرهاب»، ربما يجد

الكثيرون في فكرة تواطؤ بريطانيا مع الإسلام الراديكالي أمرا منافيا

للمنطق. إذا، كيف يمكن تبرير هذه الادعاءات؟ في الواقع، غالبا ما تكون الحقيقة عكس الخطاب السائد ، الأمر الذي ربمًا يشكّل قاعدة عامة بشأن القضايا الكبرى. من الواضح أن «الحربّ ضد الإرهاب» شكلت حربا

ضد أهداف معينة حددتها لندن وواشنطن، وليست حربا على الإرهاب بالمعنى الحقيقي. وبعد هجمات 11 سبتمبر (أيلول) 2001 باتت مسألة أن حلفاء بريطانيا

جاؤوا في قلب الإرهاب العالمي على مدار 3 عقود على الأقل مجرد حقيقة

نادرا ما يأتي ذكرها في وسائل الإعلام الذي يشكل التيار الرئيسي. وتركت

«الحرب» التي تشنها أميركا وبريطانيا المصادر الحقيقية للإرهاب في

العالم من دون مساس. ولو كانت جهود تلك «الحرب» جادة لكانت ركزتً

على بعض المناطق المثيرة للاهتمام، بينها لندن. وعند محاولة تبرير هذه

السياسات، غالبا ما تجرى الإشارة إلى أن بريطانيا تساند أهون الشر. لكن

اعتبرته «سياسيا رجعيا بصورة كاملة» وهو آية الله قاشاني الذي نظم

أنصاره المتشددون مظاهرات ضخمة سبقت الانقلاب العسكريّ الذي

وقع عام 1953 الذي جاء بالشاه - ذي التوجهات شديدة المحافظة لكنة

موال للغرب - إلى الحكم. وعمل قاشاني بمثابة المعلم الخاص لروح الله

خوميني الذي أطاح عام 1979 بالشاه وأقر بدلا منه نظاما دينيا قَمعيا لا

وفي كتابه «الشؤون السرية»، يقدم كيرتس شهادة مثيرة للصدمة

حول تُوجه السياسة الخارجية البريطانية خلال الأعوام المائة الأخيرة.

سعيا وراء المصالح الوطنية، وقفت المملكة المتحدة مرارًا إلى حانب أكثر

قوى الإسلام السياسي وحشية ومحافظة وتآمرت بقوة ضد حكومات

ديمُقراطية بمختلف أنحاء العالم. وفي الوقت الذي جاءت فيه هذه السياسة

بمختلف جنبات العالم المسلم على مدار القرن الماضي، تمثل العدو

الرئيسي لبريطانيا ليسْ في قوْي التّطرف الديني، وإنما قَي الوطنيينُ

ر ... پ العلمانيين الذين سعوا لاستخلاص السيطرة على موارد بلادهم من أيدي

سعت بريطانيا لتقويض مثل هؤلاء الزعماء من خلال تسليح وتدريب

خصومهم المتطرفين، بينما منحت دعما سخيا لحكام استبداديين

إسلاميين على استعداد للتعاون مع بريطانيا بشروط مقبولة. في

خُضم تلك العملية، أسهمت بريطانيا على نحو مباشر في تنامي الإسلام

وفي شعيها الحثيث للإبقاء على معقل استراتيجي لها في جنوب

آسيا - أُو حسبما قال تشرشل «الإبقاء على قطعة صغيرَّة من الهند بعد

الاستقلال» عام 1947 - لعبت بريطانيا دورا محوريا في إقامة باكستان،

وهي دولة اصطناعية لا تتوافر لديها عوامل تمكنها من المساعدة في

الحفّاظ على وحدتها سوى كونها دولة مسلمة. وخلال العقود الأخيرة

سعت حكومات باكستانية متعاقبة لتعزيز سلطتها عبر تأجيج مشاعر

الحماس الديني في الداخل، ومناصرة إسلاميين مسلحين بمختلف أرجاء

المنطقة. ومع ذلكً، يجرى التعامل مع باكستان منذ أمد بعيد على أنها

حليف محوري للمملكة المتحدة وواحدة من الدول المفضلة في توزيع

المساعدات العسكرية، على الرغم من أن الاستخبارات الباكستانية

حسبما ادعى كيرتس، استمرت في دعمها للجماعات الجهادية التي تقاتل

الآن ضد القوات البريطانية في أَفغانستان. وارتبطت بريطانيا بعلاقة

أوثق مع السعودية التي ساعدت بريطانيا في صياغة شكلها الحديث مع

ويرسم كيرتس في كتابه صورة لدولة وجدت نفسها حبيسة سلسلة

من التحالفات غير المريحة - تحمل منافع عامة مشكوكا فيها - عجزت

الحكومة البريطانية عن إدراك طبيعتها الْحقيقية بصورة كاملة. وتبدو

القضية متفاقمة حراء المستويات الاستثنائية من السرية المحيطة

بالسياسة الخارجية البريطانية، ما يعيق إجراء نقاش فاعل حول القرارات

التي يجرى اتخاذها باسم البريطانيين. مثلًا، لا تزال السرية مفروضة

علىّ الكثير من الملفات المتعلقة بتدخلنا المجهض بمنطقة قناة السويس

على الرغم من مرور نصف قرن. ونظرا لقاعدة «الأعوام الثلاثين» المثيرة

للجدل التي تنتهجها المملكة المتحدة، يبقى جزء كبير من تاريخنا الحديث

مفقوداً. ومع ذلك، تمكن المؤلف مارك كير تس من القيام بعمل رائع

بناء على المصادر المتاحة أمامه، حيث جمع عددا مبهرا من المعلومات

. المسرية والاعترافات الحكومية للتأكيد على أنه من المنظور الأخلاقي

تبدلت السياسة الخارجية البريطانية قليلا في العقود الأخيرة. وقدم

بالفعل على هذا الصعيد حجة قوية، وإن كانت مثيرة للحزن.

القوى الاستعمارية السابقة. مرة بعد أخرى، من مصر لإيران وإندونيسي

بمكاسب مؤقتة، فإن ثمنها على المدّى البعيد كأن فادحا.

الراديكالي عالميا، والآن ارتدت تداعيات ذلك على الوطن

غرم ذلك تسانيت منابة الخارجية البييطانية بنشاط

يبقى التساؤل: ما هي القيمة الحقيقية لمثل تلك الادعاءات؟.

يزال مهيمنا على السلطة حتى اليوم.

على مكانتهم في خضم عالم متغير.

ذلك الوقت، الأمر الذي عجزت بريطانيا عن التعافى منه مطلقا.

في يوغوسلافيا والقذافي بليبيا وصدام بالعراق، على سبيل المثال.

مفجر فضيحة العلاقات السرية بين المخابرات البريطانيـــة والأصوليين والإخوان المسلمين في حوار صحفي

عشرات الآلاف من الوثائق السرية الرسمية تؤكد أن بريطكانيا بدأت تمويل جماعة الإخوان السلمين سرا في عام 1942

الخابرات البريطانية اعتبرت الحركات الإسلامية أفضل من الحـــركات الوطنية والقومية التي ناضلت من أجل استقلال بلدانها

عن العلاقات السرية ما بين بريطانيا والجماعات المتطرفة في مختلف أنحاء العالم، يجيء كتاب المؤلف البريطاني مارك كيرتس الأخير «الشؤون السرية» ويتكون من 19 فصلا و430 صفحة من القطع المتوسط، عن دار نشر «سربنت تيل»، ويوضح الكاتب في مؤلفه بعض خيوط، الارتباطات السرية بين الإنجليز والإخوان المسلمين منذ النصف الأول من القرن الماضي، ومدى قوة العلاقات التي توطدت بينهم بالتمويل والتخطيط لإفشال الثورات في المنطقة العربية والإسلامية، التي كانت تمثل جبهة الحرب الباردة بين الغرب والشرق، وتحولت اليوم إلى جبهة الحرب على «الإرهاب الأصولي» الذي بات يهدد أمن المنطقة واستقرارها.

يقول مارك كيرتس، مؤلف كتاب «الشؤون السرية»، إن شبح الماضر

عاود الظهور مجددا وبات يخيم بظلاله على السياسة البريطانية فر

أفغانستان، وخلف التواطؤ البريطاني مع القوى الأصولية، بما فيها

المتطرفون الذين وفروا معسكرات تدريبية لقائد الانتحاريين محمد

صديق خان الذي نفذ مع زملائه هجمات 7 يوليو (تموز) عام 2005 ضد

وسائل النقل في لندن والتي أودت بحياة 57 شخصاً، وسط اتهامات

جديدة وجهت إلى الحكومة وأجهزة الأمن، حملتها المسؤولية عن الأعمال

الإرهابية التى تنفذها الحركات الأصولية، نتيجة «لتواطؤ» هذه الأجهزة

. يقول كيرتس مؤلف كتاب «العلاقات السرية» إنه عندما وقعت

هجماتً لندن في 7 يوليو 2005، ألقى الكثيرون بمسؤولية ذلك على غزو

العراق، إلا أن العّلاقة بين هذه الهجمات الدامية وبين السياسة الخارجية

البريطانية أعمق من ذلك بكثير ، فالتهديد الإرهابي لبريطانيا هو نكسة

إلى حدما ناجمة عن شبكة من العمليات البريطانية السرية مع الجماعات

الإسلامية المتشددة ممتدة عبر عقود. وفي حين يمثل الإرهاب أكبر

تحد أمني للمملكة المتحدة، فإن تواطؤ الحكومة البريطانية مع الإسلام

وذكر كير تس أن «التهديدات الإرهابية لبريطانيا هي انعكاس ناتج عن

شبكة من العمليات السرية البريطانية بالتعاون مع مجموعات إسلامية

مسلحة تعود إلى عقود ماضية». وحذر من أنه «في الوقت الذي يجرى

اعتبار الإرهاب التحدي الأمنى الأكبر بالنسبة للبلد، تواصل الحكومة

فالتواطؤ مع القوى الأصولية ومن ضمنها المتطرفون الذين وفروا

معسكرات تدريب لمجموعة الانتحاريين التى نفذت هجمات لندن الانتحارية في الشريط القبلي الباكستاني وللمتمردين في أفغانستان

كانت لمَّ، وفقاً لكيرتُّس، آثار كَّارثية على السِّياسة الخارجية البريطانية

في الشرق الأوسط وآسيا. ويقول إنه عندما وقعت تفجيرات لندن الآنتحارية سارع كثيرون لإلقاء اللوم على المشاركة البريطانية في

الحرب على العراق عام 2003، لكنهم لم ينتبهوا إلى أن المسألة أعمقً

وأشار كيرتس إلى أن اثنين من الانتحاريين الأربعة الذين نفذوا عمليات لندن، تلقيا تدريبهما في معسكرات تدريب في باكستان تابعة

لحركة «المجاهدين» التي استخدمت في أفغانستان لدحر الاتحاد السوفياتي السابق والتي استخدمتها باكستان أيضا في حربها ضد الهند

وأضاف أن هناك إثباتا على أن بريطانيا سهلت إرسال متطوعين من

«المجاهدين» للقتال في يوغوسلافيا وفي كوسوفو في عقد التسعينات،

وأن الكثير من «المجاهدين» كانوا يتلقون تعليماتهم من مجموعة دربتها

ومن مجموعة المجاهدين هذه، أشار كيرتس إلى جلال الدين حقاني

وزير الحدود في عهد حركة طالبان الأصولية والقائد العام لقواتً

«طالبان» حاليا الَّتي تتصدى للقوات البريطانية في أفغانستان الضافة إلى قلب الدين حكمتيار ، الذي يوصف اليوم بأنه «قاتل قاسي القلب»،

أ كن على مساعدات سرية هائلة وتدريب عسكري من بريطانيا في عقد الثمانينات، وجرى استقباله في أروقة الحكومة البريطانية في

ر .. 970 وحكمتيار ، وفقا لكيرتس، تم تكليفه أيضا من جانب بريطانيا للقيام

بعمليات سرية داخل الجمهوريات الإسلامية للاتحاد السوفياتي. وعبر

. كير تس عن قلقه من التحول الجاري حاليا في السياسة البريطانية التي

تتجه نحو عقد صفقة جديدة مع هذه القوى الأصولية من أجل ضمال

خروج غير مشرف لها من الحرب الأَفغانية الوحشية، مشير ا إلى تصريحات

قائد القوات البريطانية السير ديفيد ريتشاردز، الذي قال في الأسبوع

الماضى إنه «ينبغى البدء بالمحادثات مع طالبان في أقرب وَقَت»، لأنَ

«سمعةً بريطانيا ونقُوذها في العالم أصبحا على المحلِّك». وتابع كيرتس

أن جذور الدعوة البريطانية للتّفاهم مع طالبان تعود إلى عام 2004 عندما

تم توجيه الدعوة لمولانا فضل الرحمن، القيادي الأصولي الباكستاني

المُوالَى لَـطالبانَ، من أجل زيارة لندن وإجراء محادثات مع مسؤولين في

وزارة الخارجية البريطانية. عقب هذه الزيارة أبلغ فضل الرحمن وسائلً

الإعلام الباكستانية أن بريطانيا تجرى محادثات غير مباشرة مع طالبان،

«بحثا عن خروج أميركي مشرف من أُفغانستان». وحذر كيرتس من أن

مثل هذا الاعتماد على القوى الأصولية لتحقيق أهداف تتعلق بالسياسة

الخارجية هو تذكير لما حصل في الماضي، «عندما كان مثل هذا التواطؤ

موجها للسيطرة على مصادر النقّط واسقّاط أنظمة حكم قومية». مشيراً

إلى أن الحكومتين البريطانية والأميركية تآمرتا عام 1953 مع آية اللّه

سيّد القاشاني، الزعيم الروحي للشيعة ومؤسس مجموعة «أنصار

الإسلام» المتطرفة في إيران، من أجل إسقاط نظام حكومة مصدة،

التي كانت تحظى بشعبية واسعة، بل إن الحكومتين بحثنًا مسألة تنصيب

وقال كيرتس في مقدمة كتابه «الشؤون السرية» إن وكالات

الاستخبارات البريطانية منعت شن 12 عملية إرهابية في بريطانيا على

مدار العقد الماضي، وتزعم أن هناك نحو 2000 إرهابي معروفين لأجهزة

الاستخبارات بعملُون ضمن 200 خلية نائمة، ويحذر مسؤولو مكافحة

الإرهاب من هجمات وأخذ رهائن يشارك فيها مسلحون بقنابل ستحدث

علَى الأراضي البريطانية، ويبدو أن معدل التهديد بالإرهاب مبالغ فيه

لأسباب سياسية، وكما اتهمت البارونة ماننغهام - بللر رئيسة الاستخبارات

البريطانية السابقة الحكومة بتخويف الشعب حتى تتمكن من تمرير

قوانين الإرهاب الجديدة التي ستحد من الحريات المدنية، وقالت ماننغهام

أيضا إنها لم تندهش من تورط مواطنين بريطانيين في القيام بهجمات

7/7 في لندن. وكانت البارونة ماننغهام عضوا في لجنة الاستخبارات

المشتركة للحكومة بحكم منصبها مديرة لجهاز الأمَّن الداخلي، وذكرت

أن بريطانيا بالإضافة إلى دول غربية أخرى تواجه بوضوح تهديدات من

وتحدث المؤلف كيرتس عن كيفية إنجاح سياسات بريطانيا

الاستراتيجية فقال: «إن بريطانيا تعاونت على نحو روتيني مع الولايات

المتحدة الأميركية التي لديها تاريخ مماثل من المواجهات مع الإسلام

المتطرف، مع الأخذ في الاعتبار انحدار القوة البريطانية فإن العمليات

الأنغلو أميركية المشتركة تغيرت من كونها مشاريع مشتركة إلى حد

كبير، في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية إلى مشاريع كان

فيها الهوايتهول الشريك غير الرئيسي مع أميركا الذي غالبا ما يزود

بقوات خاصة في عمليات تدار من قبل واشنطن». وتحدّث كيرتس في

الفصل الأول عنّ جذور العلاقات البريطانية مع الإسلام المتطرف، فقالّ

إن مثل هذا التعاون يمكن أن نجده في السياسات الإمبراطورية فقد

جاءت الخطوة الأولى تجاه نفوذ الإمبراطورية البريطانية في العالم

الإسلامي عام 1765، عندما سلمت الإمبراطورية المغولية في مقاطعة

بنُغال الغُّنية شركة الهند الشرقية التَابِعة لبريطانيا حق زيادَّة العوائد،

وتحكمت بريطانيا بالتالي في شبه القارة الهندية، حيث تغلبت على قوات

القاَّشاني، سلف آية اللَّه الخميني، زعيما سياسيا على إيران.

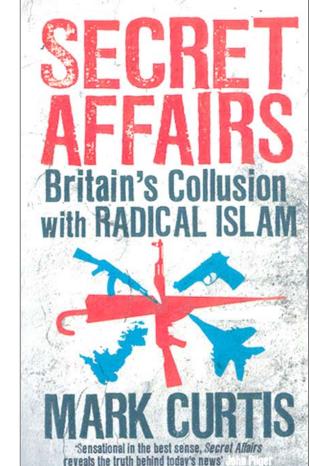
بريطانيا وزودتها بالأسلحة ومن ضمنها صواريخ مضادة للطائرات.

من أجل تحرير إقليم كشمير الهندي وضمه إلى باكستان.

في وقت سابق مع هذه التنظيمات.

الأصوليّ لا يزال مستمرا.

البريطانية تواطؤها مع الإسلام المتطرف».



يقول مارك كيرتس، مؤلف كتاب «الشؤون السرية»، إن شبح الماضرِ عاود الظهور مجددا وبات يخيم بظلاله على السياسة البريطانية ف أفغانستان، وخلف التواطؤ البريطاني مع القوى الأصولية، بما فيهًا المتطرفون الذين وفروا معسكرات تدريبية لقائد الانتحاريين محمد صديق خان الذي نفذ مع زملائه هجمات 7 يوليو (تموز) عام 2005 ضد وسائل النقل في لندن والتي أودت بحياة 57 شخصا، وسط اتهامات ـ الحكومة واحهز ة الامن، حملتها المسؤولية عن الاعما الإرهابية التي تنَّفذها الحركات الأصولية، نتيجة «لتواطُّو» هذه الأجهزة بي وقت سابق مع هذه التنظيمات.

يقول كيرتس مؤلف كتاب «العلاقات السرية» إنه عندما وقعت مجمات لندن في 7 يوليو 2005، ألقى الكثيرون بمسؤولية ذلك على غزو العراق، إلا أن العَّلاقة بين هذه الهجمات الدامية وبين السياسة الخارجية البريطانية أعمق من ذلك بكثير، فالتهديد الإرهابي لبريطانيا هو نكسة إلى حدما ناجمة عن شبكة من العمليات البريطانية السرية مع الجماعات الإسلامية المتشددة ممتدة عبر عقود. وفي حين يمثل الإرهاب أكبر تحِد أمني للمملكة المتحدة، فإن تواطؤ الحكومة البريطانية مع الإسلام

وذكر يُكير تُس أن «التهديدات الإرهابية لبريطانيا هي انعكاس ناتج عن شبكة من العمليات السرية البريطانية بالتعاون مع مجموعات إسلامية مسلحة تعود إلى عقود ماضية». وحذر من أنه «في الوقت الذي يجري عتبار الإرهاب التحدى الأمنى الأكبر بالنسبة للبلد، تواصل الحكومة البريطانية تواطؤها مع الإسلام المتطرف».

فالتواطؤ مع القوى الأصولية ومن ضمنها المتطرفون الذين وفروا معسكرات تدريب لمجموعة الانتحاريين التى نفذت هجمات لندر الانتحارية في الشريط القُبلي الباكستَاني وللمتمردين في أفغانستان كانت له، وفقا لكيرتس، آثار كارثية على السياسة الخارجية البريطانية بي الشرق الأوسط وآسيا. ويقول إنه عندما وقعت تفجيرات لندن الاُنتحارية سارع كثيرون لإلقاء اللوم على المشاركة البريطانية في الحرب على العراق عام 2003، لكنهم لم ينتبهوا إلى أن المسألة أعمق

وأشار كيرتس إلى أن اثنين من الانتحاريين الأربعة الذين نفذوا مليات لندن، تلقيا تدريبهما في معسكرات تدريب في باكستان تابعة لحركة «المجاهدين» التي استخدمت في أفغانستان لدحر الاتحاد السُوفياتي السابق والتي اسَّتخدمتها باكستاَّن أيضا في حربها ضد الهند بن أجل تحرير إقليم كشمير الهندي وضمه إلى باكستان. وأضاَّف أن هناك إثباتا على أن بريطانيا سهلت إرسال متطوعين مز

المجاهدين» للقتال في يوغوسلافيا وفي كوسوفو في عقد التسعينات وأن الكثير من «المجاهدين» كانوا يتلقون تعليماتهم من مجموعة دربتها بريطانيا وزودتها بالأسلحة ومن ضمنها صواريخ مضادة للطائرات. ومن مجموعة المجاهدين هذه، أشار كيرتس إلى جلال الدين حقاني وزير الحدود في عهد حركة طالبان الأصولية والقائد العام لقوات «طالبان» حاليا التي تتصدى للقوات البريطانية في أفغانستان، إضافة

إلى قلب الدين حكمتيار، الذي يوصف اليوم بأنه «قاتل قاسي القلب»، الذي حصل على مساعدات سرية هائلة وتدريب عسكري من بريطانيا س عقد الثمانينات، وجرى استقباله في أروقة الحكومة البريطانية في وحكمتيار، وفقا لكيرتس، تم تكليفه أيضا من جانب بريطانيا للقيام

عمليات سرية داخل الجمهوريات الإسلامية للاتحاد السوفياتي. وعبر كيرتس عن قلقه من التحول الجاري حاليا في السياسة البريطانية التي تتجه نحو عقد صفقة جديدة مع هذه القوى الأصولية من أجل ضمّان خروج غير مشرف لها من الحربّ الأفغانية الوحشية، مشيرا إلى تصريحات قائد القوات البريطانية السير ديفيد ريتشار دز، الذي قال في الأسبوع الماضي إنه «ينبغي البدء بالمحادثات مع طالبان في أقرب وقت»، لأن «سُمِعة بريُّطانيا ونفوُّذها في العالم أصبحا على المُحكُ». وتابع كيرتس أن جذور الدعوة البريطانية للتفاهم مع طالبان تعود إلى عاه 2004 عندما تم توجيه الدعوة لمولانا فضل الرحمن، القيادي الأصولر الباكستاني الموالي لـطالبان، من أجل زيارة لندن وإجراء محادثات م مسؤولين فَي وزارة الخارجية البريطانية. عقب هذه الزيارة أبلغ فضل الرحمن وسائَّل الإعلام الباكستانية أن بريطانيا تجرى محادثات غير مباشرة مع طالبان، «بحثا عن خروج أميركى مشرف من أفغانستان»

علطان تيبو، وهي آخر معاقل الإمبراطورية المغولية في الهند عام 1779. وفي نهاية القِرن الـ19 تحركت الإمبراطورية البريطانية إلى ما و أبعد منّ الهند، وأصبح لها نفوذ قوى على العالم الإسلامي. وفي الكتاب أيضا بحسب مؤلفه كيرتس هناك حديث مهم عن أ ريطانيا مولت حركة «الإخوان المسلمين» في مصر سرا من أجل إسقاط نظام حكم الرئيس السابق جمال عبد الناصر، على اعتبار أن الحركات لأصولية أفضل من الحركات القومية العربية. وأضاَّف أن بريطانيا بدأت تمويل «الإخـوان» عام 1942. وأعلن أنه حتى بعد وفاة عبد الناصر واستخدام خليفته أنور السادات «الإخوان» كأداة لتدعيم حكمه، واصلت بريطانيا النظر إلى الإخوان على أنهم «سلاح يمكن استخدامه»، وفقا لمسؤولين بريطانيين لتدعيم نظام الحكم في مصر. وفي فصل خاص حمل عنوان «تغذية (القاعدة)ْ» وجد المؤلفُ أنّ بداية التسعينات شهدت بروز التطرِف الإسلامي في كل منَ أوروباً والولاّيات المتحدة للمرة الأوّلى، مصحوبا بأول حرب جهادية في أوروبا وهي حرب البوسنة بعد عام 1992 إضافة إلى تُفجير مركز التجارَّة العالمي في نيويورك عام 1993 إضافة إلى أول هجمات على أوروبا الغربِية حيث كانت التفجيرات على مترو باريس عام 1995، ولا شك في أن السعودية قد عانت أيضا من أول الهجمات الإرهابية في نوفمبر عام 1995، عندما فجرت سيارة مفخخة مبنى سكنيًا يضم بعثَّة التدريب العٰسكرية الأميركية التي جاءت لتدريب

الثمانينات بِعد أن تدربوا في معسكرات الجهاد في أفغانستان وباكستاز القائمة، محاولين الاستفادة من نجاحهم في مواجهة السوفيات.

وعادوا إلى أوطانهم مسلحين بخبرات الحرب لمحاربة حكوماتهم والنظم وفي الفصل الـ13 يتحدث المؤلف كير تسّ عن محاولة اغتيال العقيد معمر القذافي والسعي لإسقاط نظام صدام حسين، فيقول: شهد النصف

يكشف الباحث البريطاني مارك كيرتس في كتابه

العلاقات السرية» عن شعار يتكرر في ملفات الحكومة

على مدار عقود كثيرة، وخلال عقدين من عام 1952

حتى عام 1970، جاء هذا التهديد في صورة القومية

العربية التي دعا إليها عبد الناصر؛ ومنذ عام 2005،

جاء ذلك في لقاء صحفي نشرته صحيفة (الشرق

الاوسـط) السعودية التي تصدر باللغة العربية

من لندن تعيد صحيفة (14 اكتوبر) نشره تعميماً

دُ ما الفترة التي قضيتها في كتابة الكتاب الأخير لك «العلاقات

دُ دُ لقد استغرقت عملية تأليف هذا الكتاب أربع سنوات. بدأت

الكتابة فورا عقب هجمات لندن، في نهاية عام 2005. واستغرق

الأمر عدة شهور من البحث في الهيئة الوطنية للأرشيفات بين

عشرات الآلاف من الوثائق السرية، التي تحتوي على ملفات سرية

دُ دُ نعم، يبحثُ الناشر الخاص بي عن ناشر عربي، لكن هذا

دُ هلْ تعتقد أن مصطلح «لندنستان» لا يزال موجودا أم أنه

دُ دُ تم حظر الجماعات والأفراد الذين تربطهم صلات بالإرهاب

والذين تسامح معهم البريطانيون في تسعينات القرن الماضي،

وَفَى بَعض الْحَالَاتُ عَقَبِ هجماتُ الحَادي عشر من سبتمبر عام

2001، أو تم القبض عليهم. ويرجع هذا التغير في المقام الأولُ

إلى أن بريطانيا نفسها أصبحت هدفا للإرهاب. ففي السابق، كان

التَّفَاهُمْ هُو أَنْ السلطات ستتيح للجماعات الراديكَّالية العَّمل ما

دامت بريطانيا نفسها ليست مستهدفة، وهو ما يسمى «ميثاق

ً بيد أننيُّ أعتقَّد أنه من المُمكن تفسير التسامح الحالي من

جانب النخبة البريطانية مع الجماعات المنشقة في لندن جزئيا

باستغلال هذه الجَماعات في صالح سياساتها الخارجية، وهو الأُمر

الذى وثقته فى الكتاب، حيّث إنه بمقدورهم العمل كدعامات أو

وبصورة خاصة، كان لبريطانيا مصلحة دائمة في الحفاظ عل

الانقسامات في منطقة الشرق الأوسط وجعلها تحت سيطرة

سياسية منفصّلة، ويعد ذلك إحدى صور سياسة «فرق تسد»

الدولية التي كان ينظِّر إليها علَى أنَّها مهَّمة مَّن أجل ضَّمان أنه

لا يوجد هناك أي قوة فاعلة وحيدة في الشرق الأوسط مسيطرِ ذ

ىلى المنطقة، ولا سيما ثروات النفطّ بها، ضد رغبات لندن (أر

واشنطن). وهذا شعار يتكرر في ملفات الحكومة على مدار عقود

كثيرة. وخلال عقدين من عام 1952 حتى عام 1970، جاء هذا

التهديد في صورة القومية العربية التي دعا إليها عبد الناصر؛ ومنذ

عام 2005ً، جاء ذلك في صورة إيران أُحمدي نجاد.

طاقات تفاوض مع حكومات أخرى، على سبيل المثال.

انتهى؟ هل انتهت لعبة استخدام الإسلاميين في بريطانيا أم أنها

دُ هُل فكرْت في طباعّة هذا الكتاب باللغة العربية؟

جاء ذلك في صورة إيران أحمدي نجاد.

السرية: تواطؤ بريطانيا مع الأسلام المتشدد»؟

للحكومة تم الكشف عنها.

لا تزال مستمرة في وجهة نظرك أ

الإرهاب في جميع أنحاء العالم.

في سلسلة من الهجمات الإرهابية الوحشية، ففي يونيو (حزيران) عام 1986 أصدر بن لادن زعيم «القاعدة» فتوى إعلان الجهاد ضد الأميركيين وبعده بعامين أعلن تأسيس «الجبهة الدولية للجهاد ضد الصليبيين والِيهود» التي وِحدت مجموعة من التيارات الجهادية تحت مظلتها خَلْفُ أَجْنَدَهُ لقتلُ الأَميركيين والقضاء على التواجد الأميركي في الدول الإسلامية، وضمت الجبهة (القاعدة) بالإضافة إلى جماعتينّ باڭستانيتين مثل عسكر طيبة وحركة المجاهدين، كما ضمت الجماعات المصرية مثل الجماعة الإسلامية والجهاد الإسلامي، وعددا من الحركات الأصولية الأخرى، وتصادف إعلان عام 1996، مع تسف أبراج الخبر في السعودية التي تضم فريقا من القوات الجوية الأميركية والذي أدى إلى قتل 20 بينهم 19 أميركيا. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) من العّام التالي شنت الجماعة الإسلامية هجوما على معبد الدير البحري في الأقصر حِيث قتل 63 سائحا. وفي أغسطس (آب) 1998 نسفت القاعدة سفار تي أميركا في كينيا وتنزانياً ما أدى إلى مقتل 224 معظمهم من الأفارقة

وفي تلك الآونة كانت بريطانيا بلا موقف حازم تجاه الإسلام الراديكالي،

فأحيانا كانت تنظر إليه باعتباره تهديدا بصفة خاصة لحليفها السعودي،

بعد هجمات الخبر 1996، ولحليفها الأميركي بعد هجمات السفارتينّ،

وفي الوقت ذاته استمرت بريطانيا في التسامح مع ما أصبح يعرف باسم

«لندنستان» بما في ذلك وجود عدد من مساعدي بن لادن في بريطانيا

الذين روجوا لبيانات «القاعدة» حول العالم، وقد أصبحت لندنّ بالإضافة

إلى أفغانستان الواقعة تحت سيطرة طالبان، التي يعيش فيها بن لادن

مع أعوانه في قندهار المركز الرئيسي للجهاد العالمي حيث أغمضت

تنطلق من أُراضيها. وأيضًا كانت لندن تتعامل بصفة خاصة في ليبيـ

وكوسوفو مع الإسلام الراديكالي وبدرجة محدودة في العراق، وكما أثبت تاريخيا فإن الإسلام المتطرف كان مفيدا للمخططين البريطانيين

في مواجهة النَّظم الوطنٰية مثل القذافي في ليبيا وميلوسوفيتش في

يوغوسلافيا وصدام حسين في العراق. وقد كَشف الكاتب بعض الخيوطّ

المعقدة في تلك العلاقات العصية على الفهم والتصديق بين بريطانيا

والأصوليين، لمدى تشابك وتبادل الأدوار فيها ما بين الدولي والإقليمي

والمحلى، وبين الأنظمة الرسمية والأجهزة المخابراتية، وبين المخابرات

والأحزابّ والتيارات السياسية الإسلامية التي توالدت وانتشرت في الشارع

العربي وهيمنت على الواقع السياسي والَّثقافي، خَلال العقودُّ الثلاثةُ

الأخيرة، في مشهد لم يعاصره العرب على مدار تآريخهم. ولم يكن الخبر

الحكومة البريطانية – على الأقل – عينيها عن نشاطات الأصوليين التي

وفي يونيو عام 1996 تم ضرب أبراج الخبر السكنية في المنطقة الشرَّقيَّة، التَّيُّ يقطُن فيها أفْراد الْجويَّة الأميركية، وقَّد أسَّفر انفجار شاحنة عن مقتل 20 شخصا، والجزائر ِهي الأخرِي شهدت حربا أهلية بشعة بين الحكومة وعناصر الجماعات الأصولية، أدت إلى مقتل ما يقرب من 100 ألف شخَص، منذ اندلاعها عام 1992، وفي أُفغَّانستان انقلبت عناصر المجاهدين على نفسها بعد خروج السوفيات وسقوط الحكومة الموالية للروس عام 1992، ما أدى إلى مقتل الآلاف من أبناء الشعب الأفغاني وتدمير العاصمة كابل، وأدت الفوضى وانعدام القانون بين الفصائل الجهادية إلى ظهور حركة طالبان الأصولية عام 1996، التر سيطرت على العاصمة كابل، وهكذا كانت هناك نتائج بشعة بسبب عولمة الإرهاب، حيث أشعل الجهاديون المسلحون الحرب في أفغانستان في

ما فتئت تتشدق بإيمانها الإسلامي ضد الأديان الأخرى.

بهم من المخططين هم من المناهضين والمحرضين ضد الدول والمصالح الغربية، ولكنهم دخلوا في زواج مصالح لتحقيق أهداف على الُمدي القَصيرَ . كما أنه بعد تراجع النَّفوذ الْبريطاني في الشرق الأوسط سعت الحكومة البريطانية إلى جميع الحلفاء، مع قليل من الاعتبار للعواقب على المدى الطويل. لا ينبغيَ أن يكون دور بريطانيا فَى ظهور الإرهاب العالمي مبالغا فيه، ولكن هناك الكثير من المساهمات: معارضة القومية العربيّة، التي مهدت الطريق لصعود الإسلام الراديكالي في 1970، وتقديم الدعم للمحاربين في الحرب المقدسة الأفغانية في 1980، ومن ثم ظهور أسامة بن لادن وتنظيم (القاعدة)، وظاهرة «لندنستان» في 1990، عندما أصبحت لندن عاصمة مركزية لتنظيم

ويدلل كيرتس في كتابه «الشؤون السرية» على ذلك القول بأن اثنين من الأربعة الذين نفذوا تفجيرات لندن تلقوا تدريبا في معسكرات باكستانية تديرها جماعة حركة المجاهدين الإرهابية التي رعتها باكستان لتحارب القوات الهندية في كشمير. ولم تقم بريطانيا فقط بتسليح باكستان وتدريبها، ولكنها قدمت أيضا مساعدات سرية استفادت منها حركة المجاهدين، فهناك أقاويل قوية تشير إلى أن بريطانيا سهلت سفر المجاهدين للحرب في يوغوسلافيا

ويمضي التَّكاتب فيّ القول إن اعتماد بريطانيا على الإسلاميين لتحقيق أهدافها يرّجع إلى المّاضي، عندما كانت تريد السيطرة على المصادر الطبيعية لبعض الدول أو الإطاحة بالحكومات القومية فيها. وأشار إلى العملية الإنجليزية الأميركية عام 1953 في إيران للتخلص

والأميركية بتمويل المظاهرات ضد حكومة مصدق، بل إنها ناقشت احتمال اختيار قاشاني كقائد للبلاد بعد الانقلاب.

مفاجئا بقدر ما كان مثيرا نشره في الصفحات الأولى من صحافتنا، لما بات لهذه التيارات من قوة ترِهيب وتَهديد ضد مصالح كل من يتجرأ على البحث في شؤونها وكشف أسرارها والمس بسمعتها (العقائدية) التي ومراجعة الملفات السرية تكشف أن المتعاونين الإسلاميين المعترف

من حكومة مصدق التي كانت تحظى بشعبية والتي قامت بتأميم صناعة النفط في البلاد، الأمر الذي ألحق ضررا كبيرا بالشركات البريطانية، وشملت هّذه العملية مشاركة آية اللّه سيد قاشاني مؤسس حركة أنصار الإسِلام، وهي حركة أصولية مسلحة. وقامت أجهزةً المَخابرات الَبريطانيةً

وأضاف: «تكشف ملفات حكومية نزعت عنها صفة السرية عن أن مخططين أدركوا أن المتعاونين معهم من الإسلاميين معادون للغرب، ومع ذلك دخلوا معهم فيما هو أشبه بزواج مصلحة لتحقيق أهداف قصير ذ الأجل». والآن، يطل الماضى برأسه مجددا «ليخيم بظلاله القاتمة عا . السياسة البريطانية بأفغانستان، ويتكبد الجنود البريطانيون إضافة إلر

المدنيين الأفغان ثمنا فادحا بسبب تلك الحركة الارتجاعية». ويكشف المؤلف: تعاونت حكومات بريطانية متعاقبة سرا مع قو مسلحة على صلة بتنظيم (القاعدة) سعيا للسيطرة على موارد النفط والإطاحة بحكومات وتعزيز المصالح المالية البريطانية. وكان أول تطبيق لسياسة الدعم السرى مع جماعة الإخوان المسلمين بمصر، حيث جرى

قبل تفجيرات لندن الإرهابية لم تكن قوى التطرف الديني والإرهاب هي العدو الرئيسي لبريطانيا بل إن العدو كان ممثلاً بالوطنيين والعلمانيين الذين سعوا لاستقلال بلدانهم والسيطرة على مواردها وتحريرها من أيدي القوى الاستعمارية

في (لندستان) تسامحت المخابرات البريطانية مع أتباع وأنصار بن لادن الذين نشطوا في ترويج أفكار وبيانات (القاعدة) وغضت الطرف عن نشاطات الأصوليين المتطرفين

أثناء العدوان الثلاثي على مصر قامت بريطانيا باتصالات سرية مع الإخوان المسلمين

وغيرهم من الشخصيات الدينية كجزء من خططها للإطاحة بجمال عبدالناصر أو اغتياله

تشجيعهم على إسقاط أو اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر ذي التوجهات وتعد تفجيرات 7 يوليو في الجزء الأكبر منها نتاجا لتلك السياسة الخارجية البريطانية نظرا لاعتمادها على «بنية تحتية إرهابية» أسستها دولة باكستانية تحظى منذ أمد بعيد بدعم الحكومة البريطانية، بجانب جماعات إرهابية باكستانية، حسبما ذكر كيرتس. ويسرد الكتاب تفاصيل

تاريخ طويل من التواطؤ البريطاني مع الإسلام الراديكالي، بما في ذلك جماعات إرهابية. وتعد هجمات 7 يوليو والتهديد الإرهابي الأوسع تطاقا القائم حاليا، إلى حد ما نتاجا للسياسة الخارجية البريطانيةً، حيث اعتمدت التفجيرات على بنية تحتية إرهابية أنشأتها دولة باكستانية حظيت بدعم

الكاتب في سطور



' بدأ كيرتس دراسته في مدرسة لندن للاقتصاد، ثم عمل باحثا لدى المعهد الملكى للشؤون

وسبق له العمل كمدير بـ«الحركة الإنمائية العالمية». بعد سنوات كثيرة من عمله مع منظمتي «كريستيان إيد» و«أكشن إيد» غير الحكوميتين، حيث عمل مديرا لقسم «السياسة وجهود الضغط» لدى «كريستيان إيد» ومديرا للشؤون السياسية في «أكشن إيد»، أصبح يعمل الآن كاتبا وصحافيا ومستشارا مستقلا. ويعد من المشاركين بانتظام فى النقاشات السياسية ويكتب مقالات في الكثير من الصحف بينها «غارديان» و«ريد بيبر» و«إندبندنت» داخل المملكة المتحدة، و«زنيت» في الولايات المتحدة، و«فرونتلاين» في الهند، و«الأهرام» في مصر. كما أنه أستاذ شرفي بجامعة ستراثكلايد. وعين من قبل باحثا زائرا بالمعهد الفرنسي للعلاقات الدولية في باريس و Deusche Gesellschaft fuer Auswaertige Politik

■ حافلة تعرضت للتدمير في هجمات لندن في يوليو 2005

الإسلامية أو تعمل من خلالها.

دُ هُل من وثائق تدعم الادعاء بأن التمويل البريطاني لجماعة

ذلك سيقود إلى تغير في السياسة الفعلية لبريطانيا تجاه إسلام

دُّ دُ نعم، يوثّق الكتاب ملفات بريطانية سرية تم الكشف

ففي احتلال جنوب العراق، وقفت بريطانيا بصورة أساسية ما لمسلَّحين الإسلاميينِ من الشيعة، المتصلين بالمُجلس الأُعلَى الإسلامي للعراق، من أجل السيطرة على المنطقة وضمان خروج ‹مقبول»ّ. كما كانت تطور علاقاتها مع جماعة الإخوان المسلميز ى مصر وسورية وفى أماكن أخرى، رّبما كوسيلَة لتأمين نفسه بشأن دعم باكستان للإرهاب في الهند، لكننا سنرى ما إذا كان

عنّد تغيير النظام الحاكّم في القاهرة ودمشق. وتواصل تحالفاته الاستراتيجية العميقة مع المملكة العربية السعودية وباكستان ويأتي ذلك على الرغم من التعليقات (الدقيقة) لديفيد كاميرون

الإخوان المسلمين في مصر بدأ في أربعينات القرن الماضي؛ وأنه خلال العقد التالي كأنت بريطانياً متواطئة مع الجماعة لأغتيال

«مما يساعد على تفكيك (الإخوان)» عن طريق دعم فصيل منها

وفي سيِاستها الخارجية، لا تزال بريطانيا تستخدم القوى عنها، تبين أن بريطانيا بدأت تمويل جماعة الإخوان المسلمين

عرا في عام 1942. وقال تقرير بريطاني: «سيتم دفع الإعانات لجماعة الإخوان المسلمين سرا من جانب الحكومة (المصرية) وسيطلبون بعض المساعدات المالية في هذا الشَّأن من السُّفَّار ه البريطانية)». وستقوم الحكومة المصرية بالزج بعملاء موثوق بهم داخل جماعة الإخوان للإبقاء على مراقبة وثيقة لأنشطتها «وسيجعلنا (السفارة البريطانية) ذلك نحصل على المعلومات من هؤلاء العملاء. ومن جانبنا، سنجعل الحكومة مطلعة على هذه المعلومات التي تم الحصول عليها من مصادر بريطانية» وكان الهدف من هذا التمويل هو إحداث الانقسام داخل الإخوان،

وفى منتصف خمسينات القرن الماضى، يوثق الكتاب بعض المعاملَات السرية بين البريطانيين و«الإِخْوان». وبعدما استولى عبد الناصر على الحكم عام 1952، مباشرة اختلف مع «الإخوان» ونظرت بريطانيا إلى «الإخوان» على أنهم معارضة مفيدة لهذا لنظام الحاكم ذي التوجهات القومية العربية. وعقد مسؤولون اجتماعات مع قادة الإخوان المسلمين كأداة ضد النظام الحاكم فى

مفاوضات بشأن إجلاء القوات العسكرية البريطانية من البلاد. وفى عام 1956، عندما قامت بريطانيا بغزو مصر ضمن ما بعرف تالاعتداء الثلاثي، كانت هناك مصادر جديرة بالثقة تشير لى أن بريطانيا قامت باتصالات سرية مع جماعة الإخوان وغيرهم من الشخصيات الدينية كجزء من خططها للإطاحة بعبد الناصر أو اغتياله. لكن لسوء الحظ، لا تحتوي هذه الملفات السرية التي تم الكشِف عنها أي تفاصيل أخرى بشأن ذلك. وما تبينه هذه الملفات هو أن المسؤولين البريطانيين كانوا يعتقدون أن هناك «إمكانية» و «احتمالية» أن يقوم «الإخوان» بتشكيل الحكومة الجديدة بعد الإطاحة بعبد الناصر على أيدي البريطانيين. وفي شهر مارس (آذار) عام 1957، كتب تريفور إيفانز، المسؤول بالسفارة البريطانية الذي قاد اتصالات سابقة مع «الإخوان»، قائلا: «إن بالأُنظمةَ التَّومية في سُورية عامي 1956 و1957 كانت تنطوي

يضا على تعاون مع جماعة الإخوان المسلمين، التي كان ينظر

إليها على أنها وسيلةً مفيدة في خلق الاضطرابات في البلاد تمهيدا

عام 1998، ألف كيرتس كتابه «الخداع الأكبر: القوة (الأنغلو - أميركية) والنظام العالمي»، وحمل الكتاب هدفا معلنا تمثل في إلقاء الضوء على الكثير من الخرافات المرتبطة بالقوة (الأنغلو - أميركية) في حقبة ما بعد الحرب الباردة. وحاول كيرتس إظهار كيف ظلت المملكة المتحدة شريكا محوريا في جهود الولايات المتحدة لتعزيز هيمنتها عالميا، وحلل ما وصفه بالعلاقة الخاصة بين البلدين وخلص إلى أن هذا الوضع ترتبت عنه تداعيات خطيرة على كليهما.

: عن/ (الشرق الأوسط)